

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اْمْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْ جَعَلَ لَهُمُ النَّهَارَ ضِيَاءً، يَبْتَغُونَ فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عِبِيدِهِ فِيمَا مَكَّنَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَنَازِلَ وَبُيُوتًا، وَأَبَاحَ مَنَافِعَهَا، وَسَخَّرَ لَهُمُ السَّحَابَ لِإِخْرَاجِ أَرْزَاقِهِمْ مِنْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، أَي: مَكَاسِبَ وَأَسْبَابًا يَتَّجِرُونَ فِيهَا، وَيَتَسَبَّبُونَ أَنْوَاعَ الْأَسْبَابِ، وَأَكْثَرَهُمْ مَعَ هَذَا قَلِيلُ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. وَقَالَ عِيَّاشُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾. فَبِالْعَمَلِ يُؤَدِّي الْإِنْسَانُ مَهْمَةَ الْإِعْمَارِ فِي الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَي جَعَلَكُمْ عُمَّارًا تَعْمُرُونَهَا وَتَسْتَعْلُونَهَا. اهـ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَرِيٍّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ». فَلَا يَنْقَطِعُ الْعَمَلُ فِي إِعْمَارِ الْأَرْضِ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْحَيَاةُ كُلُّهَا.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْإِسْلَامَ حَتَّى عَلَى الْعَمَلِ، وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ عُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ وَبُئْلِ مَكَانَتِهِمْ، كَانُوا يَمْتَهِنُونَ حِرْفًا وَأَعْمَالًا، فَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَرَفَ صِنَاعَةَ السُّفْنِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، وَدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَمَعَ هَذَا كَانَ حَدَادًا يَصْنَعُ الدُّرُوعَ، قَالَ

تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَلٌ أَجِيرًا رَاعِيٍّ غَنَمٍ عَشْرَ حِجَجٍ، فَكَحَّ ابْنَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي مَدِينٍ، وَكَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْمَلُ نَجَّارًا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا»، وَنَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ رَعَى الْغَنَمَ فِي صِبَاهُ، وَتَاجَرَ بِمَالِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شِبَابِهِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». وَهَكَذَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَمِلُوا مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ، مِنْهُمْ الرَّاعِي، وَالْكَاتِبُ، وَالْخَادِمُ، وَالتَّاجِرُ، وَالْخِيَّاطُ، وَالنَّبَّالُ، وَالسَّقَّاءُ، وَالْفَلَّاحُ، وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ دَاعِيًا أَتْبَاعَهُ إِلَى الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا الْأَجْدَرِ فِي الْحَيَاتَيْنِ، فَحَثَّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا حَثَّهُمْ عَلَى الْعَمَلِ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ الْكَافِلَةِ لِلْعَيْشِ عَلَيْهَا، مِنْ حَرْثٍ وَتِجَارَةٍ وَصِنَاعَةٍ وَغَيْرِهَا. فَالْعَبْدُ يَسْعَى فِي مِيَادِينِ الْحَيَاةِ مُكَافِحًا، وَإِلَى أَبْوَابِ الرِّزْقِ سَاعِيًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. أَيُّ: لِيَطْلُبَ الْمَكَّاسِبَ وَالتَّجَارَاتِ. وَفِي الْمُقَابِلِ جَعَلَ سُبْحَانَهُ الْقُعُودَ عَنِ الْعَمَلِ وَالِاتِّكَالِ عَلَى الْآخِرِينَ مَذْمُومًا مَقْبُوحًا؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ ظُلْمًا لِلنَّفْسِ وَإِهَانَةً لَهَا، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ».

عِبَادَ اللَّهِ: هُنَاكَ آدَابٌ شَرْعِيَّةٌ عَلَى الْعَامِلِ التَّادِبُ بِهَا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: إِتْقَانُهُ لِلْعَمَلِ. أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَنَّهُ».

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ قَوِيًّا أَمِينًا. فَالْقُوَّةُ تَتَحَقَّقُ بِأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْعَمَلِ الَّذِي يُسْنَدُ إِلَيْهِ، وَقَادِرًا عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ أَمِينًا فِي مَا أُوْكِلَ إِلَيْهِ مِنْ صَاحِبِ الْعَمَلِ وَاسْتَأْمَنَهُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

الثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ بَعِيدًا عَنِ الْغَشِّ وَالتَّحَايِلِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي».

الرَّابِعُ: عَدَمُ اسْتِغْلَالِ الْمَنْصِبِ فِي الْعَمَلِ لِأَجْلِ تَحْقِيقِ مَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ دُونَ وَجْهِ حَقِّ شَرْعِيٍّ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ».

الخَامِسُ: التَّبَكُّيرُ إِلَى الْعَمَلِ؛ حَيْثُ يَكُونُ النَّشَاطُ وَتَتَحَقَّقُ الْبَرَكَةُ مَوْفُورًا، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ صَخْرِ الْغَامِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرُ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعُثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَثَرِي، وَكَثُرَ مَالُهُ.

أَمَّا الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي عَلَى صَاحِبِ الْعَمَلِ التَّأَدُّبُ بِهَا، فَمِنْهَا:

الأَوَّلُ: أَنْ يُبَيِّنَ لِلْعَامِلِ طَبِيعَةَ الْعَمَلِ وَحَجْمَهُ وَأُجْرَتَهُ. فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكُمْ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، فَقَالَ لَهُ مُوضِّحًا نَوْعَ الْعَمَلِ وَقَدْرَهُ وَثَمَنَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أَشَقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤﴾.

الثَّانِي: أَلَا يُكَلِّفَ الْعَامِلَ فَوْقَ طَاقَتِهِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُواهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

الثَّالِثُ: دَفْعُ الْأَجْرِ الْمُنَاسِبِ لِلْعَمَلِ أَوْ الْأَجْرِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ».

الرَّابِعُ: تَمْكِينُ الْعَامِلِ مِنَ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «وَقَوْلُهُ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. يَقُولُ تَعَالَى: لَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا وَزِينَتُهَا وَمَلَاذُ بَيْعِهَا وَرِيحُهَا عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي هُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهُ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْفَعُ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ؛ لِأَنَّ مَا عِنْدَهُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أَيُّ: يُقَدِّمُونَ طَاعَتَهُ وَمُرَادَهُ وَمَحَبَّتَهُ عَلَى مُرَادِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ السُّوقِ، حَيْثُ نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، تَرَكَوْا بِيَاعَاتِهِمْ، وَنَهَضُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. اهـ